# الهجرة المشدالية نحو فرنسا ما بين الحربين: دراسة من خلال الأرشيف الفرنسي

# Mc'hadalian migration to France between the two wars: a study through the French archives

# La migration de Machdala vers la France entre les deux guerres: une étude à travers les archives françaises

**د. يسمينة سعودي**
جامعة الجزائر2 ابو القاسم سعد الله

**تاريخ الإرسال: 30-01-2021 - تاريخ القبول: 14-08-2021 - تاريخ النشر: 06-11-2022**

**ملخص**
شهدت مشدالة ظاهرة الهجرة، بسبب الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي عاشتها في ظل الاحتلال الفرنسي فيما بين الحربين، وتعد الدراسة مهمة لمحاولتها الغوص في التاريخ المحلي المجهري اعتمادا على الأرشيف بالدرجة الأولى سواء ارشيف فرنسا او الارشيف المحلي والوطني الدراسة حيث سمحت لنا بالوقوف عند بعض النقاط وهي تاريخ بداية الهجرة بمشدالة الى فرنسا وكيف تطورت؟ فئاتها، وما انعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية؟ حيث عرفت المنطقة نوعين من الهجرة، داخلية وخارجية، وإن كان للجوار دور هامّ في الهجرة الأولى، فالثانية ارتبطت بما خلّفته السياسة الفرنسية من مصادرة للأراضي، وتشريد للعائلات فيما بين الحربين، والتي لا يمكن معالجتها، إلا إذا حصرنا أهمّ موجاتها والشرائح التي مسّتها والدّور الذي لعبته؟ ويبقى جوهر الإشكال مرتبطا بأبعاد هذه الهجرة، السياسية، والاجتماعية منها في بلورة فكرة الكفاح الوطني.

**الكلمات الدالة:** الهجرة؛ مشدالة؛ الأرشيف؛ القبائل؛ فرنسا؛ النضال.

**Abstract**
chedellah witnessed the phenomenon of migration caused by the deterioration of economic and social conditions under French occupation between the two wars. We propose to treat this migration through a local microscopic study, by the exploitation of French archives and local and national archives. We will try to answer the questions about the date, the forms of its development, the categories concerned and its social, economic, political and psychological consequences?
The analysis of the archives consulted allowed us to study two types of migration, internal and external, which are both the product of the French policy of land

confiscation and its dramatic consequences on the population. We have also shown that the period between the two wars is a pivotal phase in the development of the causal relationship between the effects of French colonial policy and the acceleration of emigration flows to France.
**Keywords** : emigration; Mchedellah; archives; Kabyle; France; struggle

**Résumé**
Mchedellah a été témoin du phénomène de la migration causée par la détérioration des conditions économiques et sociales sous l'occupation française entre les deux guerres. Nous proposons traiter cette migration à travers d'une étude microscopique locale, par l'exploitation des archives françaises et les archives locales et nationales. Nous tenterons des répondre aux interrogations au sujet de la date les formes de son développement, les catégories concernées et sur ses conséquences sociales, économiques, politiques et psychologiques ?
L'analyse des archives consultées nous a permis d'étudier deux types de migration, interne et externe, qui sont, toutes les deux, le produit de la politique française de confiscation des terres et de ses conséquences dramatiques sur la population. Nous avons également montré que la période entre les deux guerres est une phase charnière dans le développement du rapport de causalité entre les effets politique coloniale française et l'accélération des flux d'(émigration vers la France.

**Mots-clés :** émigration; Mchedellah; archives; Kabyle; France; lutte.

**مقدمة**

من القضايا التاريخية التي ظلت بعيدة عن الأضواء هي الدراسات المجهرية للهجرة، وعلى الرّغم من أنّ موضوع الهجرة قد تناولته أقلام أوروبية أمثال روبير شارل أجيرون وغي بيرفليي وجزائرية كجيلالي صاري (صاري، 2007)، في هجرة الجزائريين نحو أوروبا، في سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات لمركز الحركة الوطنية و1نوفمبر1954، وعبد الحميد زوزو الذي تطرق للهجرة من خلال النشاط السياسي للمهاجرين وتبلور فكرهم الوطني (زوزو،1984) بينما تناول عمار بوحوش طبقة العمال في فرنسا (بوحوش ،2008).

بينما عاد الملتقى الوطني المنعقد بالعاصمة في 30و31 اكتوبر 2006 الذي تناول دوافع الهجرة (يحياوي،2007) الجزائرية الى المشرق (سعد الله، 2007) (طرشون،2007) والى اوروبا (ياحي،2007) وكذا المساهمة الفكرية (الغالي،2007) والسياسة (بزيان،2007) حيث توقف الاستاذ حسين عبد اللاوي عند هجرة الطلبة الجزائريين الى فرنسا 1900-1960 (عبد اللاوي، 2007) وهو الموضوع الذي تناوله غي برفيليي Guy Pervillé في الجامعة الفرنسية 1880-1962 (Pervillé,1995)

إلاّ أنّ الملاحظ في جل هذه الأعمال كلها تتناول الهجرة من زاوية الكل الا ما تناوله الاستاذ صياد عن هجرة منطقة القبائل (Sayad,1994) ورغم ذلك تبقى دراسته سسيولوجية بينما الموضوع المقترح للدراسة يتناول جزءا من منطقة القبائل حيث لا تزال بكرا بالنسبة لمنطقة مشدالة لأنها دراسة تاريخية مجهرية تهتم بالتاريخ المحلي الذي وجب الاعتماد على الأرشيف بالدرجة الأولى سواء ارشيف فرنسا او الارشيف المحلي والوطني للولوج الى أدق التفاصيل عن الهجرة التي تحتاج إلى أعمال معمّقة لمعرفة تداعياتها، وكيف كانت بهذه المنطقة، وما هي مراحلها، واسبابها، وانعكاساتها؟

وأمام هذ النقص المسجل في مجال البحث الأكاديمي حول الهجرة في حيز جغرافي ضيق ومحدد تكمن أهمية هذه الدراسة التي قد تسمح بالوقوف عند بعض النقاط وهي تاريخ بداية الهجرة بمشدالة الى فرنسا وكيف تطورت؟ من هي هذه الفئة المهاجرة؟ وما انعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية؟

وللإجابة عن هكذا أسئلة اعتمدنا المنهج الاحصائي والتحليلي وذلك بالاستعانة على الارقام في الموضوع ثم تحليلها واعطاء النتائج.

**1. الهجرة ودو افعها مشدالة**

كانت الهجرة الأولى مرغمة على الأهالي، شأنها شأن الهجرة التي عرفتها المنطقة ما بين الحربين التي كانت دائما في إطار التّجنيد من أجل الدّفاع عن فرنسا وتعويض العمال الفرنسيين المجندين (زوزو،2007، ص15). لكنّ الهجرة التي سنركّز عليها، هي التي أعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة، حيث شهدت كل دواوير مشدالة هذه الظاهرة بدون استثناء، بسبب الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها المنطقة، فكانت وراء ركوب الأهالي سفن الهجرة. فبذلك كانت الهجرة الجزائرية نموذجا مثاليا لكل هجرات العالم الثالث من حيث أسبقيتها الزمنية وكثافتها البشرية، فتاريخها جزء لا يتجزأ أو مرآة عاكسة لتاريخ المجتمع الريفي الجزائري وتاريخ استئصاله الذي استهل مع بداية الاستعمار الفرنسي. (Sayad,1992, pp.153-181)

كانت المجاعة التي شهدتها مشدالة عقب الحرب العالمية الثّانية، السّبب الحقيقي في مغادرة خيرة الشباب قراهم، والتي كانت نتيجة للسياسة الفرنسية الاستيطانية التي عملت على مصادرة أجود الأراضي من أهلها، (A.N.O.M., 4 M 289 Colonisation Maillot) وحرمانهم

من مصادر المياه لسقي ما تبقّى لهم من أراضي المنحدرات(A.N.O.M., 33 L3)، كما سعت الإدارة إلى محاولة تحسين وتطوير الإنتاج المحلي بغلق شركات كانت في حقيقتها شركات للاستغلال، ووضع الأهالي في دوّامة القروض التي إن لم يستطع إعادة دفعها، سيتكبل رهنا لما يملكه، وبذلك ساهمت هذه السياسة في خلخلة الاقتصاد المحلي مما تحتم على الأهالي اتخاذ الهجرة سبيلا.

عرفت منطقة مشدالة نوعين من الهجرة، داخلية وخارجية، وإن كان للجوار دور هامّ في الهجرة الأولى، والتي ارتبطت بما خلّفته السياسة الفرنسية من مصادرة للأراضي، وتشريد للعائلات، والتي لا يمكن معالجتها، إلا إذا حصرنا أهمّ موجاتها والشرائح التي مسّتها والدّور الذي لعبته؟ ويبقى جوهر الإشكال مرتبطا بأبعاد هذه الهجرة، السياسية، والاجتماعية منها في بلورة فكرة الكفاح الوطني.

وقد كانت العوامل السياسية التي عاشتها مشدالة جرّاء السياسة الإستيطانية وتوسّعها على حساب ممتلكات الأهالي، (A.N.O.M., 20L 70 Maillot Souk N'tlata, 1881) السبّب المباشر في حمل بعض العناصر إلى الهجرة الداخلية، منذ ستينات القرن 19. وقد تعدّدت الوجهات، لكن جلّها كان في اتّجاه الشرق الجزائري، إلى مدن قسنطينة، وعنابة، وسطيف بشكل خاصّ، ثم إلى مقاطعة الجزائر، لتتواصل هذه الهجرة في الفترات التاريخية اللاّحقة وبالأخص ما بين الحربين، حيث تأخذ تصاعدا حادّا بعد الحرب العالمية الثانية مكسّرة أعراف الجوار، لتنتقل إلى خارج الحدود قاصدة أوربا وعلى رأسها فرنسا.

ارتبطت أولى هجرة سكان المنطقة بالتجنيد الذي فرضته فرنسا على الأهالي أثناء غزوها للجزر المتواجدة في المحيط الهندي، منها مدغشقر سنة 1895، ومن خلال بعض التقارير الخاصة بالعائلات الدينية أو العسكرية لاحظنا هذا التجنيد، لكن دون العثور على قوائم المجنّدين التي تسمح لنا بإعطاء حصيلة كلية لهؤلاء بالمنطقة أو حتى حصيلة ضحاياها (A.N.O.M., S 1 (1-10) Carton 5, caïds et chefs indigènes)، لذا، نكتفي ببعض المعلومات المتناثرة هنا وهناك بين تقارير ومراسلات الإدارة الفرنسية، والتي تشير إلى وجود مجندين من المنطقة، شاركوا في الحملة، أمثال "زنقاع بلقاسم بن دحمان" الذي شارك في الحملة، برتبة خيال من الصنف الأوّل كُتبت له العودة إلى دواره، فتقدّم إلى الإدارة مطالبا إيّاها بترقيته إلى دركيّ في صفوف الجيش الفرنسي وذلك سنة 1895.

كما شارك حسن أوبلقاسم واثنان من عائلة خديس (A.P., Liste des candidats, datté 1896.) وهما أحمد ومحمد (A.N.O.M., S 1 (1-10) Carton 5, Caïds et Chefs.)، بينما المسمّى أحمد وسعيد فقد لقي حتفه هناك. (A.P., Liste des candidats, datté 1896)

كان النّظام الفرنسي مبنيا على العنصرية واللاتكافؤ بين الفرص، فكيف لا وثلة من المستوطنين يحكمون آلاف السكان، فمركز العجيبة الذي استقبل 43 أوربيا سنة 1893، (A.N.O.M., 5M 13 , 1886) و22 أوروبيا بثيكسيغذان، (A.N.O.M., 26 L 81 Tachachit 1881-1893) ومايو بـ244 أوروبيا، (A.N.O.M., 5M 13,) أي بمجموع 313 أوروبي مقابل 19835 من الأهالي، وقد شهد هذا العنصر(الأوروبي) نموا متزايدا بمايو إلى أن وصل سقفه445 أوروبيا سنة 1936. (A.N.O.M., 1G 36, le marriage mixte , 1886)

وهو ما تطلّب من الإدارة المحلية إيجاد مساحات أرضية تمنحها لهم (مجانا، لتشهد البلدية تراجعا في عدد أو روبيها ابتداء من نفس السنة، لكن ذلك لم يمنع الإدارة من طلب المزيد من الاقتطاعات والمصادرات، سواء باسم المنفعة العامة، أو بفعل القوانين الزّجرية التي سنّتها قبل ذلك، فكانت المصادرات في تزايد بالبلدية، فكانت على النحو التالي بمركز مايو وضواحيه:

**الجدول رقم 01: الأراضي المصادرة في عروش مشدالة**

| السنوات / المركز | المساحة المصادرة بالهكتار | |
|---|---|---|
| | 1857 | 1882 |
| مايو (مشدالة) | 07 | 1787 |
| ثيكسيغذان | 57 | 1225 |
| الأصنام | 741 | 1750 |

المصدر: A.N.O.M, 5M9 Rapport sur la colonisation centre d'EL Esnam

A.N.O.M., 26L135 Maillot 1878- 1897 Séquestre des Terres.

خلال هذه الفترة، بذلت الإدارة الاستيطانية كلّ ما في وسعها للحصول على الأراضي، التي شهدت مصادرة رهيبة عقب ثورة 1871، لإنشاء مراكز صناعية ومستثمرات زراعية، بعد التحاق الكثير من الأوروبيين بالبلدية، وبينت هذه الإحصائيات مسعى الإدارة في إنشاء مراكز مرافقة لمركز مايو الإداري، بكلّ من الأصنام، والعجيبة، وثيكسيغذان،

حيث وزّعت على المستوطنين ما يساوي (A.N.O.M., 4M 189) 4715 هكتارا، والواقع أنّ عملية الاستيطان تواصلت بالبلدية وبلغت أوجها بتأسيس مركز مايو (23L 132 Maillot (Souk n'tlata) الذي شهد به استقرارا للعائلات الألزاسية والإيطالية، حيث وصل عدد أولى العائلات (A.N.O.M., 8L1 colonisation (1880-1905) به إلى 50، ليصل عدد أفرادها سنة 1931 إلى 496 مستوطنا، حملوا معهم فكرة زراعة الكروم وتعويض مساحات زراعة الزيتون بها، لما لهذه الزراعة من ربح سريع.

إلاّ أنّ المشروع قد فشل، حيث لم يتم غرس إلاّ 200 هكتار بالأصنام، ليتحوّل بعد ذلك نظر الأوروبيين إلى زراعة الزيتون والتين والحبوب. (A.N.O.M., 7L 2, Statistiques plantation des olives) وقد أدّت هذه السياسة إلى استغلال أحسن وأجود الأراضي المترامية على ضفاف وادي الساحل، ودفع الأهالي إلى استغلال المساحات الضيقة والمحصورة في أعالي الجبال، ممّا أدى إلى تدهور زراعتهم وثروتهم الحيوانية التي صودرت مسارح رعيها، حيث تراجع محصول القمح الصلب سنة 1943 إلى 12929 قنطارا، بعدما بلغ 29000 قنطارا سنة 1942، وازداد سنة 1945 إلى 9145 قنطارا . (A.N.O.M. L'agriculture à Maillot l'olive et blé)

بينما كان الأوروبيون يتحكّمون في المحصول فقد وصل محصولهم سنة 1943 إلى 6457 قنطارا، وقبلها أي سنة 1941 كان قد بلغ 13105 قنطارا، كما سيطر المستوطنون إضافة إلى محصول الحبوب، على محصول الزيت والتين، فقد استحوذوا على 85400 شجرة زيتون سنة 1930. (7L 6 plantation des olives)

واحتكرت شركة الأهالي للاحتياط تجارة الزيت والتين بفرض أسعار شراء متدنية على الأهالي، وفرض أسعار بيع عالية لهم. (C.A.N., fond monographie, Boite61, 1945) وهذا ما أدى بتراجع النشاط الزراعي والحيواني للأهالي ، في بداية الثلاثينات والأربعينات، ممّا خلق اختلالا في التوازن الاجتماعي، الذي شهد نموّا ديمغرافيا معتبرا خلال هذه الفترة، لكنه لم يرافقه نمو اقتصادي، مما أثّر في تلبية حاجيات الأهالي وسدّ رمقهم.

شهد المستوى المعيشي للأهالي ببلدية مايو تدنيّا كبيرا، مقارنة بمصاريف كل عائلة التي لا تتعدّى ميزانيتها 1500 فرنك شهريا، بالنسبة لعائلة متوسطة الدّخل، بينما لا تتعدّى مبلغ 500 فرنك،(A.N.O.M., 20 x 9 Fonds Monographie, C.A.N Boite 61) بالنسبة للعائلات الفقيرة جدا، ورغم ذلك تبقى العائلات الأولى ذات ميزانية شهرية محددة بـ1500، فقيرة

أو متدنية مقارنة بعائلات بلديات وادي الساحل الأخرى، وبالخصوص بلدية أقبو المختلطة التي تبلغ مصاريف عائلتها شهريا 1950 فرنك (A.N.O.M., 20 x 9)، أي بمعدل 65 فرنكات يوميا بينما تصل مصاريف العائلة المشدالية إلى 50 فرنكات يوميا.

وقد كانت الحاجيات اليومية من المواد الغذائية الأساسية السّبب في هجرة الأهالي إلى فرنسا ابتداء من سنة 1945، رغبة منهم في تحسين أوضاعهم المعيشية، رغم تميز سكان البلدية بالكبرياء والحفاظ على كرامتهم (النيف)، التي يبدو أنها انصهرت مع حاجة عائلاتهم، أو لتكوينهم في المدرسة الفرنسية التي سهلت له الاندماج مع الوضع الجديد كمهاجر.

**2. مراحل الهجرة**

لقد قنّنت سلطة الاحتلال الهجرة إلى بلدها في مراسيم كثيرة بهدف تنظيمها، إذ صدر مرسوم 4 أوت 1926 الذي يتضمّن إجراءات على المهاجر احترامها، وهي استخراج بطاقة تعريف عليها صورة وعلامة تبين تأدية حاملها لواجباته العسكرية، وشهادة السوابق العدلية، ومبلغ مالي يجب أن يكون بحوزة المسافر، وشهادة طبية تبين سلامة الشخص من الأمراض المعدية (زوزو،2007، ص18).

إلاّ أنّ هذه الإجراءات ما فتئت أن ألغيت سنة 1936، لتمنح للجزائريين فرصة المغادرة قاصدين بذلك فرنسا للعمل، بعد أنّ انتعشت الهجرة عقب الحرب العالمية الثانية لما عرفته من ركود أثناءها.

لقد حمل سجل استخراج البطاقات التعريفية لبلدية مايو المختلطة، ارتفاعا غير مسبوق ابتداء من سنة 1947، حيث كان استخراجها لأجل السماح لهم بمغادرة أرض الوطن قاصدين فرنسا، لتبلغ إحصائيات صدورها في دواويرها ما بين 1947 إلى 1949 على النحو الآتي (C.A.N., Fonds Monographie, boite 61):

**الشكل رقم01: تطور بطاقات التعريف الصادرة في مشدالة مابين 1947و1949**

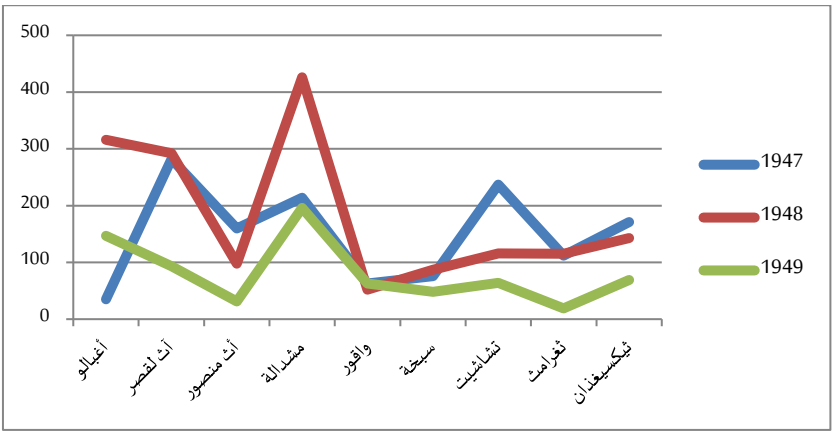


ولعّل إلقاء نظرة على المنحنى البياني يؤكّد لنا نشاط حركة الهجرة بالبلدية، حيث وصل عددهم 1650 طالبا للبطاقة، سنة 1947، وبذلك 1650 مهاجرا، هاجروا ولو لهجرة مؤقّتة، تتراوح بين سنة إلى ثلاث سنوات. هذا، وقد طرحت الهجرة بمشدالة مشكلا عويصا وخطيرا للإدارة المحلية هدّد منظومة المرسوم مقارنة بالملفات المودعة يوميا، ومنها بخاصة ملف المنح العائلية للعاملين، فالطلبات لتكوين الملفات، والطلبات المتزايدة لمعرفة تفاصيل الملف، قد أثقلت كاهل مصلحة الحالة المدنية حسب ما أوردته التقارير الفرنسية (C.A.N., Fonds Monographie, boite 61). وعرفت الطلبات على وثائق الحالة المدنية، وشهادة الحياةCertificat de Vie، التي يتم تقديمها إلى صندوق المنح السنوية تزايدا في عددها، التي وصفتها الإدارة إلى تزايد بالملايين، إضافة إلى ألفي مراسلة متبادلة خلال سنة 1951، (A.N.O.M., 1K260, Rapport mensuel, décembre 1954) بين مصالح المنح فيما بينها.

يبدو أن الإدارة قد بالغت باستعمالها لكلمة "الملايين"، في وصفها لذلك الضغط المفروض على مصالحها من قبل المعنيين بملفات الهجرة. ومهما كثرت، فإن عددها يستحيل أن يبلغ الرقم. كما يمكننا فهم وترجيح خلفية القائمين بالحالة المدنية، التي ترمي إلى الضغط على سلطاتها والسعي من محاولة تضخيمها للأمور، أن تنشئ لهم مكتب خاص مكلف بالاهتمام بملفات المنح فقط.

وإذا كان هذا التزايد على المنح أثقل كاهل الإدارة في إنجاز ملفاتها، فإنه يعني بالنسبة لنا حركية ونشاط للهجرة المشدالية وتزايدها إلى فرنسا، التي من خلالها نتساءل على الأماكن التي كان يهاجر إليها، أو بمعنى آخر ما هي المناطق الأكثر استقطابا بفرنسا، وما هي المناطق الأكثر تصديرا للهجرة من بلدية مايو المختلطة؟

### 3. الأعداد المهاجرة وعروشهم

الواقع أنّ دوار أغبالو وبالأخص قرى كل من تقربوست وسلوم كانتا المصدرين للهجرة في البلدية بـ282 مهاجرا، ما يعادل 6,92% من الهجرة الإجمالية، لتليها كل من ثشاشيت بـ237 مهاجرا، ولكن إذا قمنا بتقييم الهجرة بمشدالة على حسب جهاتها، تكون النتيجة:

**الجدول رقم 03: المناطق المصدرة للهجرة في مشدالة**

| السنوات / الجهة | 1947 | 1948 | 1949 | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| الشرقية | 783 | 937 | 475 | 2195 |
| الشمالية الشمالية الغربية | 631 | 573 | 176 | 1380 |
| الجنوبية | 236 | 185 | 79 | 500 |

**المصدر:** C.A.N., Fonds Monographie, boite 61

الملاحظ من هذا الجدول، أنّ النسب تتفاوت من جهة إلى أخرى، حيث تعدّ الجهة الشمالية الواضحة في الخريطة التي تضم دواوير كل من أغبالو، وواقور، ومشدالة، وثيكسيغذان، من أكثر المراكز التي عرفت الهجرة،

**الخريطة رقم 01: المناطق التي انطلقت منها هجرة مشدالة الى فرنسا**

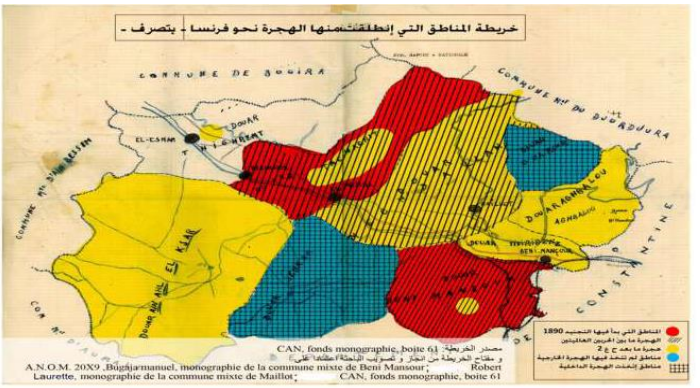


**المصدر:** C.A.N., Fonds Monographie, boite 61

**مفتاح الخريطة:** من انجاز الباحثة اعتمادا على: C.A.N., Fonds Monographie, boite 61

وهذا بسبب فقرها بعدما تكبّدت ثقل أكبر المصادرات لأراضيها، فيكفي أن تمت مصادرة 1787 هكتارا سنة 1882، بدوار مشدالة لوحده لإنشاء القرية الاستيطانية، وهو ما أدّى إلى تدهور نشاطها الاقتصادي، ممّا دفع سكان هذه الجهة إلى الهجرة، التي بلغت أعلى نسبة لها سنة 1948 بـ19,40% أي بـ426 مهاجرا من مهاجري هذه الجهة، وبـ 10,46% كمساهمة في كامل هجرة البلدية.

بينما تعدّ قرية "واقور" الأقل تصديرا للمهاجرين في نفس الجهة، المقدر بـ178 مهاجرا فقط خلال هذه السنوات، وهذا بسبب نفورهم من الهجرة الخارجية وتفضيلهم للهجرة الداخلية، فمعظم سكانها اتّخذوا من المدن الشرقية خاصة منها قسنطينة، مركزا لهجرتهم، وهو نفس الحال بالنسبة للهجرة بالجهة الجنوبية للبلدية وتضم كل من آث منصور وسبخة، التي تأتي في ذيل الترتيب للهجرة في البلدية بنحو 500 مهاجرا فقط.

بينما تأتي الجهة الشمالية الغربية والتي تضم كل من آث لقصر وتشاشيت وثغرامت في المركز الثاني في ترتيب الجهات الأكثر هجرة بالبلدية، إذ تبقى قرية آث لقصر أكبر فرع فيها عرفت الهجرة، إذ ساهمت بنسبة 48,33% في جهتها، وبنسبة 19,39% من مجموع مهاجري البلدية خلال السنوات الثلاث. وإذا كانت الدّراسات التعميمية لا يمكن إطلاقها على كل مناطق الجزائر، كما ذهب إليه الأستاذ زوزو في قوله، أنّ مراكز تصدير المهاجرين كون في أشدّ المناطق فقرا في الجزائر. (زوزو،2007، ص 27)

وهنا لا ندري هل يقصد حتى المناطق التي انطلقت منها الهجرة الداخلية في تناوله للموضوع، والتي لم يشر إليها بصريح العبارة، وإن قصد فقط الهجرة الخارجية، فهو الرأي الذي لا يمكننا إسقاطه على مناطق مشدالة الفقيرة، بخاصة السبخة وواقور، اللتان تعدّان من القرى الجدّ فقيرة، وتتصدّران ذيل الترتيب من حيث مساهماتها في الثروة الحيوانية والزراعية مقارنة بباقي المناطق.

**4. أماكن استقرارهم وظروفهم**

يتواجد المهاجرون بمنطقة شرق فرنسا بولايتي مورثMeurth وموزال Moselle بـ213 مقيم، والموزيل Moselle بـ66 مهاجر وضواحيها بـ194 مقيم، وقد إستقطبت منطقة أوبيرفيل Aubervilles بباريس الحصة الأكبر من المقيمين، ثم باريس وسط، وفي

الشمال موزا بـ 66 مقيم، ولوار Loire بـ 54 مهاجر، وفي الجنوب لا بوش دي رون أي مرسيليا وضواحيها بـ 35 مهاجر. (A.N.O.M., 20 x 9)

وقد قدّر العدد الإجمالي للمهاجرين المشداليين في فرنسا خلال سنة 1949 بـ838، حيث نلاحظ تزايد الهجرة عند سكان ثغرامت، والتي وصلت إلى 115 مهاجرا سنة 1948 بعدما كان 112 سنة 1947، هي زيادة بمهاجرين في مدة سنة، ولهذا لا نعتبرها بزيادة كبيرة أثرت في نمط وحياة سكان الدوار، وهذا لا لشيء سوى لكونهم يملكون أحسن وأجود الأراضي، وثروتها تغلب ثروة كل الدواوير الأخرى.

أما دوار "واقور" فقد قفز عدد مهاجريه إلى 58 مهاجر هذه السنة، وهذا راجع إلى أنّ السلطات والجمارك في الموانئ لم تعد تعمل بشرط إحضار البطاقة، والتي سمحت للعديد من الواقوريين بالذهاب إلى المهجر، علما أنّ هذا الدوار لديه وجهة داخلية في الشرق الجزائري، إذ انتقل 16 شخصا منهم للاستقرار بقسنطينة.

ومهما قيل عن الهجرة، فإن نتائجها على منطقة القبائل حسب التقرير، تمثلت في تحسين أوضاع عائلاتهم المزرية، واكتسبوا تكوينا مهنيا مغايرا لمواطنيهم المتواجدين في مناجم الونزة. لكن تناسى التقرير، وهو يعدّد نتائج الهجرة من وجهة نظر"المتربول"، نظرة القبائل ونتائج الهجرة على الجزائر، حيث وفّرت اليد العاملة الكفؤة لفرنسا، وسهّلت دمجهم في حضارتها، أو بالمختصر، فإنّ نتائج الهجرة الاقتصادية (المادية والمعنوية) على القبائل عادت بالفائدة على فرنسا في سياستها الاحتلالية. أما نتائجها السياسية على المدى البعيد، فقد كسبها المهاجرون، على أنّ فرنسا وفرت لهم هذا السبيل، لتتكون نخبة بعد ذلك تحتك بمصانعها، وتتعلم فيها أسس النضال الذي يؤهلهم فيما بعد، إلى قيادة مسيرة جديدة من تاريخ الجزائر عند تكتّلهم في أحزاب، تطالبها باسترداد حقوقهم الضائعة.

ذلك ما حدث بالفعل، فبعد مرور نحو سنة على أحداث الشّغب تلك، اصطفّ حوالي ثلاثمائة عامل قبائلي في مكان الحادثة بـ.Billy Montigny قصد استذكار الواقعة، وكانت فرصة لرفع مجموعة من المطالب والانتقادات عن الوضع، (Les kabyle en France, p.19.) فهناك من رفع مطلب تطبيق التعاليم الإسلامية والمراسيم المتوارثة في الجنائز والمتبعة في الجزائر.

وهناك من طالب بالكفّ عن مناداتهم باسم "تشوك تشوك" وهي مناداة سخرية على من يحلق حلاقة الشانسية بمنطقة القبائل أمّا عمال مرسيليا، فقد زارتهم لجنة التحقيق، للتحري على ظروفهم، فطالبوا بتخصيص مكان لهم، والحصول على مقر لممارسة شعائرهم الدينية بإمامة الشخص الذي يكون أيضا مترجما. (Les Kabyles en France, p.30)

ومن وراء هذا النضال والتجمعات التي تدور بين العمال في المقاهي بمرسيليا، كان ميلاد جمعية التضامن الجزائري في 3 أكتوبر 1912، والتي اقترحت تجميع الجزائريين وعقد اجتماعات، وإلقاء محاضرات بهدف نشر الأفكار، وروح التضامن والتعاون، إلاّ أنّ مآل هذه الجمعية كان الفشل، لعدم التفاهم في صفوف أعضائها، والتحاق رئسها إيراتني بدائرة الجزائريين الفرنسيين.

ومع هذا، يبقى السؤال المطروح: لماذا أختار المشداليون هذه الولايات بفرنسا، وما هي المهن التي احترفوها هناك، وهل السبب الذي كان وراء هجرتهم هو تحسين مستواهم المعيشي، وهل تحقّق ذلك؟

إنّ المتمعّن في الجدول سيخلص أنّ المشادلة المهاجرين إلى باريس وضواحيها، أو الولايات الأخرى قد حافظ على النمط القروي التقليدي في التجمع، وواصل الحفاظ على صلة القرابة، وهو ما أبرزته الإحصائيات، حيث يجتمع مهاجرو مشدالة في الأحياء التالية من باريس كمقاطعة 15 وباريس وسط، وسان دوني St. Denis، وكولومبس Colombes، أمّا في ولايتي المورث، والموزيل، فيتمركزون خاصة في الحيين سولناس Saulnes ولونقوي Longwy، والمهاجرون من دوار ثيكسيغذان في حي فروارد ونانسي بولاية مورث والموزيل.

بينما مهاجر آث منصور يتواجدون بروان Rouen التابعة لولاية السين السفلى، أمّا دوار واقور فيجتمع مهاجروه بباريس 15، وروان، بينما مهاجري دوار أغبالو فيتمركزون بكثرة في باريس 19، وابرفيلي Auberveilliers وفي مدن الجنوب بسانت اتيان وسانت جورج دومون St Georges De Mont، وفروار في الشمال، أمّا مهاجري دوار آث لقصر فقد تكتلوا بحي ثيل Thil وفيل روب Ville Rupt بولاية المورث والموزيل، حيث بلغ عددهم 95 شخصا بهذا الحي لوحده، أمّا بالجنوب في مرسيليا فقد تكتلوا بحي فينيسيو Vinitieux، أو سانت اتيان. (C.A.N., Fonds Monographie, Boite 61) ويفسر تكتل المهاجرين بهذا

الشكل للحفاظ على حنين الوطن، والتقليل من قسوة الهجرة، ويبعث في نفوسهم روح العمل والتذكّر دائما الأسباب التي حملتهم على الرحيل من بلدهم.

لقد تحمّل مهاجرو بلدية مايو مشقّة الهجرة وظروفها من أجل تزويد عائلاتهم ببعض النقود، فقد عاشوا معيشة ضنكه ، كما يصفها تقرير روبير لوريت قائلا: «إذ كانت يومياته بين العمل والبيت، أو بالأحرى في الغرفة التي يستأجرها مع رفاقه الأربع أو الخمس، من أجل أن يقتصد في مصاريف الكراء التي تصل إلى ما بين 400 إلى 500 فرنك ، كما كان البعض الآخر يفضل المراقد من أجل الهدف نفسه، فيعيشون جميعا تحت سقف واحد، يتقاسمون أدوار الطبخ وحتى التنظيف، كما كانت ملابسهم بسيطة، كثيرا ما يشترونها من متاجر الرثاث Friprier، وكانوا يفضلون لباس الأزرق Bleu ». (C.A.N., Fonds Monographie, boite 61).

ويبدو أنّ هذا الوصف مبالغ فيه، وكأن المهاجر المشدالي لا يفضّل حياة مريحة، ولا يريد مسكنا لائقا، تتوفّر فيه كل وسائل النظافة والصحة، ولماذا لا يقف صاحب التقرير على خلفيات هذا الوضع، ولا يتطرّق إلى غياب دولته الفرنسية وإدارتها في حمل مشاغل هؤلاء المهاجرين والتكفّل بهم ورعاية مصالحهم، وقد كانت هذه المعاناة من أجل الحفاظ على شهريته التي تبلغ 15000 فرنك، فهو يقتصد منها 10000 فرنك ليبعثها لأهله بأرض الجزائر.

**5. انعكاسات الهجرة السياسية والاقتصادية والاجتماعية على البلدين**

لقد أكدّت التقارير أنّ ما وصل من طرود بريد المهاجرين إلى مراكز بريد بلدية مايو المختلطة (وهي مايو مركز، والعجيبة والأصنام)، في سنة 1948 قد وصلت مبالغه 77000000 فرنك موجهة إلى عائلتهم، وقد تضاعف هذا المبلغ سنة 1949 ليصل إلى 81000,000 فرنك، وهذا بفضل الزيادات التي مسّت شهريتهم (A.N.O.M., 20 x 9).

إضافة إلى زيادة الأجور وإقتصاد المهاجرين في مصاريفهم بفرنسا، فإنّهم حقّقوا مبالغ إضافية تقدر بـ 000 000 25 فرنك، التي تشكّل المنح العائلية التي يخصصها لهم صندوق المنح العائلية التي قبلت ملف عائلة مستفيدة للمنح العائلية من 839 طالبا لها وتم رفض 24 ملف بسبب عدم اكتمال ملفاتهم أو بسبب أخطاء في وثائق الحالة المدنية التي كان الأهالي لا يسجلون فيها مواليدهم. فقد وصلت المبالغ التي بعثها

المهاجرون من فرنسا إلى الجزائر منذ 1 جانفي إلى 31 ديسمبر 1949 إرتفع إلى: 81 000 000 + 25 000 000 = 106 000 000 فرنك، وبطريقة حسابية بسيطة نتوصّل إلى معدل العائدات السنوية لـ 1949 والتي بلغت 62 000 فرنك للشخص.

والملاحظ أن هذه التقديرات المالية والزيادة التي شهدتها أجورهم، سمحت للمهاجرين بحمل هدايا لعائلتهم من ألبسة، وشكولاطة، ومأكولات مثل الجبن والمعلبات، بينما الذين لم يقتصدوا في شهريتهم، ومن أجل حفظ ماء الوجه فقد يحملون معهم ما بين 20 000 إلى 30 000 فرنك أي ما يعادل سنويا 100 000 فرنك، وعادة ما تخصّص هذه الأموال المدخرة لشراء المواشي، وقطع الأراضي من المستوطنين أوحتى بناء منازل على النمط الحديث (الفرنسي).

لقد أثرت حياة الهجرة على مهاجري مشدالة، بملاحظتهم التباين والتمييز الكبير بينهم وبين المهاجرين من جنسيات أوروبية، أو الاختلاف بين ظروف بلدهم وظروف الفرنسيين، التي رغم ذلك استفادوا من الاحتكاك بهم، ومحاكاتهم في الملبس والمأكل والمشرب.

فقد مكنهم هذا الاحتكاك بالتعرف على عقلية العمال الأوروبيين والفرنسيين واكتشاف ميولاتهم واتجاهاتهم السياسية، وبذلك أثرت البروليتاريا الأوروبية على مهاجري مشدالة كانوا قبائليين أو مرابطين، علاوة على تأثيرات الحركة الإصلاحية على هذه الشريحة الأخيرة في الجزائر، أصبح يضعف قوة هؤلاء على الساحة السياسية تاركا المجال للنشطاء السياسيين في مختلف تياراته كان إصلاحيا أو اندماجيا أو استقلاليا.

فقد أثرت الهجرة على الطبقة الشغيلة الجزائرية، وسمحت لهم بالانضمام للنقابات الفرنسية للدفاع عن حقوقهم، وقد كان الحزب الشيوعي الفرنسي المستقطب الأكبر للطبقة العمالية بأفكاره التحررية، ممّا سمح للجزائريين الأوائل أمثال "الحاج علي عبد القادر" و"أحمد بهلولي ومصالي (زوزو، 2007، ص53) والأمير خالد وغيرهم بتكوين أول نواة حزب جزائري نجم الشمال الإفريقي سنة 1923 (زوزو، 2007، ص ص 16-23).

ولما كان الحراك السياسي للمهاجرين الجزائريين كبيرا وبليغا بفرنسا (Seyad,1992, pp.153-181) وبالأخص باريس سنجد دور مهاجري وادي الساحل في إنشاء "نجم شمال إفريقيا"، والذين يعدون من ركائز الحزب مثل "بانون آكلي"، الذي ولد بسيدي عيش سنة 1889،

والتحق بفرنسا سنة 1916، فاشتغل بمعدات البارود أثناء الحرب العالمية الأولى، وبشركة السكر المعروفة بساي، وكذلك بمعامل رينو، فكان عضوا في اللجنة المركزية للجمعية وتولى فيها أمانة صندوق المال في سنة 1932، كما قام بتمثيل النجم في مؤتمر جنيف سنة 1935، إضافة إلى عناصر أخرى أمثال سعـدون والسيـد مقرارش من آث عباس (زوزو، 2007،ص 62).

**خاتمة**

من خلال استعراض مختلف مراحل الهجرة المشدالية نحو فرنسا وتحليل ظروف انطلاقها ووصولها الى ارض فرنسا يمكن فهم أدق التفاصيل حول المتعلقة بمساهمتهم في النضال الوطني وعدم نسيان عائلاتهم وأرض الأجداد بدليل عودتهم كلما تطلب ذلك الأمر خاصة في مواسم الفلاحة والجني، كما يمكن استنتاج مميزات لها تمثلت فيما يلي:

- كانت هجرة المشداليين متأخرة وطغت عليها الإقامة المؤقتة، فبذلك كان تأثيرها على ذهنية السكان محدودا مقارنة بالمناطق والبلديات الأخرى من وادي الساحل؛
- كانت الهجرة المشدالية مرغمة بسبب ظروف الحرب التي أعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة، وما نتج عنها من ظروف اقتصادية واجتماعية صعبة التي شهدتها ضربت المنطقة؛
- كان الفقر والمجاعة السّبب الحقيقي في مغادرة خيرة الأهالي قراهم، والتي كانت نتيجة للسياسة الفرنسية الاستيطانية التي عملت على مصادرة أجود الأراضي وحرمانهم من مصادر المياه للاعتناء بالزراعة؛
- كانت نتائج ثورة 1871 وخيمة على السكان للمصادرة الرهيبة لأراضيها لإنشاء مراكز صناعية ومستثمرات زراعية؛
- زاد الطين بلة احتكار شركة الأهالي للاحتياط تجارة الزيت والتين بفرض أسعار شراء متدنية على الأهالي، وفرض أسعار بيع عالية لهم. ما أدى الى تراجع النشاط الزراعي والحيواني للأهالي، وأحدث اختلالا في التوازن الاجتماعي بينهم وبين الأوروبيين؛
- عرفت الهجرة المشدالية تقنينا من قبل السلطات، ورغم تلك الاجراءات إلا أن تصاعدها كان ملفت النظر خاصة بالمناطق الشمالية للبلدية مايو المختلطة كتقربوست، وثشاشيت، ومشدالة؛

- تميز تواجد المشداليين بالمهجر بتكتلاتهم في مناطق معينة كمنطقة شرق فرنسا، وباريس.، فحافظوا على النمط القروي التقليدي في التجمع، وواصلوا الحفاظ على صلة القرابة؛
- نتج عن الهجرة تحسين الأوضاع المالية للمهاجرين وعائلاتهم، مع اكتساب تكوينا مهنيا؛
- ظهور تبلور فكري سياسي على المدى البعيد، بعد احتكاكها بالحركات النقابية العمالية بالمصانع، وعي ما أهلها ان فقد تتعلم فيها أسس النضال الذي يؤهلهم فيما بعد، إلى قيادة مسيرة جديدة من تاريخ الجزائر عند تكتّلهم في أحزاب، تطالبها باسترداد حقوقها الضائعة.

## المراجع


1. زوزو عبد الحميد، 1984.الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939، ط. 2، المؤسسة الوطنية للكتاب.
2. صاري جيلالي، مصير الجزائريين والغزو الفرنسي لمدغشقر 1895 من مأساة لا مثيل لها إلى مشروع استيطاني خيالي، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث هجرة الجزائريين نحو أوروبا، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954، الجزائر
3. عبد اللاوي حسين ،2006. "هجرة الطلبة الجزائريين الى الفرنسية 1900-1960"، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830-1962، المنعقد بفندق الأوراسي يومي 30-31 أكتوبر.
4. Les Kabyles en France, 1914. *Rapport de la commission chargée d'études les conditions de travail des Indigènes Algériens dans la Métropole*, Beaugency Imprimerie René Barrillier.
5. Bugeja Manuel, 1921. « *Monographie de la commune mixte de Béni Mansour (département d'Alger)* », Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, vingt sixièmes années, vingt-septième année –, Volume XX III, N° 87 à 92, imprimerie Algérien, Alger.
6. Sayad Abdelmalek, 1985. « L'immigration algérienne une immigration exemplaire ». In J.Costa-Lascoux et E.Termime ( Dir. de ): *Les algériens en France*, (Paris, Publisud .
7. Sayad Abdelmalek, « Minorités et rapport à l'Etat dans le monde méditerranéen : Etat et minorités en Algérie, le mythe kabyle », in *: Connaissance de l'islam*, Paris, Syros, 1992.

8. Sayad Abdelmalek, 1994. «Aux origines de l'émigration kabyle ou montagnarde ».in: *Hommes et migrations*, (septembre), N°1179, Adri : Paris.

## الأرشيف

9. C.A.N., *Fonds Monographie*, Boite 61, dossier Monographie de la Commune Mixte de Maillot.

10. A.N.O.M., 20 x 9 Robert Laurette, M*onographie de la Commune Mixte de Maillot*

11. A.N.O.M., 1954.1K260, *Rapport mensuel*, décembre 1954, (période du 20 novembre au 20 décembre 1954).

12. A.N.O.M., S 1 (1-10) Carton 5, *Caïds et Chefs Indigènes*, « Note sur Caïd Khedis ».

13. A.P., 1896 .*Liste des candidats aux emplois de Cavaliers dans la commune Mixte de Béni Mansour*.